التأثير النفسي للقرآن الكريم
دراسة وتحليل

دكتور / خليفة حسين العسال
الأستاذ المساعد بقسم الدعوة والثقافة الإسلامية
كلية الشريعة والقانون والدراسات الإسلامية
جامعة قطر

التعريف بالبحث:
إن وزن الإعجاز في القرآن الكريم كثيرة ومتنوعة، ولم تصل العقول حتى الآن إلى حصر هذه الوجه، وكلها زاد التدبر في آيات القرآن وتقدم الإنسان بعلمه كان ذلك مدعاة لأن تظهر وجه أخرى لم تكن معروفة من قبل وظهور الإعجاز العلمي خير دليل على هذا فلم يعرف إلا في عصور متأخرة وتأثير القرآن وجاذبيته وجلاليه ويجيبه يصلنا إلى وجه من وجه الإعجاز فيه وهذا ما سبب شكل
عنه البحث.

والله من وراء القصد
المقدمة

الحمد لله رب العالمين (خلق الإنسان علمنه البيان )(1) ، وفضله على سائر خلقه بالعقل واللسان وأضاء قلبه وعقله لفهم إعجاز القرآن والصلاة والسلام على عبده ورسوله الممنوح من ربه الحكمة وفصل الخطاب وسلم تسليما كثيراً.

وبعد.

ففضية الإعجاز الواقعي من القضايا العلمية والدينية الهامة التي شغلت الفكر الإسلامي على مر العصور ولازال تشغله حتى عصرنا الحاضر، ولهذا تدارسها الكثير من العلماء على اختلاف أديانهم ومذاهبهم وأفردو لها عشرات البحوث والرسائل والكتب والمصنفات وتعمقوا في دراسة القرآن الكريم دراسة موضوعية شاملة لعملهم يصلون إلى تحديد لغة الإعجاز ووجوهه، وذلك لأن الله تعالى أوجد بالقرآن أعظم انقلاب في البشر بتأثيره في أنفس العرب حيث جعلهم بعد أمتيه أساتذة الأمم وسادة العجم وسيظل القرآن هو المعجزة الخالدة التي لا يزيدها التقدم العلمي إلا رسوخاً في الإعجاز، ومن إعجاز القرآن أن يظل مطروحاً على الأجيال تتوارد عليه جيلاً بعد جيل. ثم يظل أبداً رحم المدى سخيف البرد كله حسب جيل أنه بلغ منه الغاية امتد الأفق بعيداً وراء كل مطمح عاليًا يفوق طاقة الباحثين والدارسين. ومع إدراكي الكامل أن الإعجاز الواقعي يفوق كل محاولة لتحديد فإني أضع إلى جانب الدراسات السابقة ما توصلت إليه من دراسة وتحليل في إطار الإعجاز الواقعي للقرآن الكريم كما سيوضح فيها يأتي.

و الله ولي التوفيق.

(1) الرحمن / 3 و 4.
مفهوم الإعجاز النفسي للقرآن:

لقد سبق العلماء المتخصصون في بيان مفهوم الإعجاز وتحديد المراد منه فذكروا أن الإعجاز في اللغة نسبة العجز إلى الغير وإثباته له، والعجز هو القصور عن فعل الشيء، والإعجاز مصدر ( أعجز) يقال عجز فلا أن الأمر إذا حاوله فلم يستطيع ولم تساع له مقدرته وجهده، ويقال أعجز الرجل أخاه إذا أثبت عجزه عن شيء، وأعجز القرآن الناس أي أثبت عجزهم عن أن يأتوا بتمثله.

وإذا ثبت الإعجاز ظهرت قدرة المعجزة، والقرآن معجز بالمعنى الذي يفهم من لفظ الإعجاز على إطلاقه فهو أمر لا تبلغ منه القطرة الإنسانية مبلغًا وليس إلى ذلك مأتي ولا وجهة، وإنها هو أثر كبير من الآثار الإلهية يشاركها في إعجاز الصنعاء وهيئة الوضع (3) ومنه معجزات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وأغده معجزة وهي اسم الفاعل منه لحقه نإ التأنيث.

والمعجزة شرعا: أمير خارق للعادة مقرر بالتحدي سالم عن المعارض (4).

ويقول ابن خلدون ( إن المعجزات هي أفعال يعجز البشر عن مثلها فسميت بذلك معجزة وليس في مقدور العباد وإنما تقع في غير عدل قدرتهم (5) فالمعجزة إذن خرق لنوراً الكون أو لقوانين البشر، يعطيها الله سبحانه وتعالى لرسله ليبدل على منهجه ويثبتهم به ويوثق للناس أنهم رسوله يؤيدهم وينصرهم، وحينئذ تخف قوانين البشر عاجزة لا تستطيع أن تفعل شيئاً.

والقرآن الكريم معجزة عقلية لمحمد ﷺ كاف في الدلالة قائم مقام معجزات غيره وأيات سواه من الأنبياء. وهذا بدوره يكشف لنا عن أمور منها:

الأول: أن قرآن وكثيره في شأن الإعجاز) سواء.

الثاني: أن الإعجاز كائن في وصف القرآن وبيانه ونظمه، وبداية

---


(3) السبطي: الإفتاء في علوم القرآن ج 2 ص 116.

(4) ابن خلدون: المقدمة: ص 90.

44
خصائصه للمعهد من خصائص كل نظام وبيان في لغة العرب، ثم سائر لغات
البشر ثم بيان التقيين جميعاً متناهرين.
الثالث: أن الذين تخداعهم هذا القرآن قد أزروا القدرة على الفصل بين ما
هو من كلام البشر وما هو ليس من كلامهم.
الرابع: أن هذا التحدي لم يقصد به الإيكان بشبهة مطلقاً لمعانيه بل أن الآتي
بها يستطيعون افتراءه واختلافه من كل معنى أو غرض مما يستنتج في نفوس البشر.
الخامس: أن هذا التحدي للتقيين جميعاً قد مستمر قائم إلى يوم
الدين(5).
وعجز العرب عن المعارضة ما هو إلا عجز للعربية في عفوان شبابها وريعان
قوتها فعجزهم وهم الفصحاء البلغاء فيه دلالة واضحة على عجز من يأتي
بدهم(6).
وتخصيص النفس بالإعجاز راجع إلى أن النفس هي الإنسان بالحقيقة وحلل
المعقولات والتفكير والتميز الروية(7). ولكنها توصف بأوصاف مختلفة حسب
اختلاف أحوالها فتكون لوامة(8) أو أمارة(9) أو مطمئة(10) وللقرآن الكريم تأثير في
النفس وجاذبيته يفتح بها مغاليق القلوب وهيبة يحييها موات الضائر في الله
نزول أحسن الحديث كأنها منشبهة مكاني تقشر منه جلود الذين يضحون بهم ثم
تنزل جلودهم وقفوهم إلّى ذكر الله ذلك يهدى إليه من يشاء ومن يضلل الله ما
لم يؤمن به(11). كما أنه يشيع العواطف والوجدانات يحرك المشاعر
الأحاسيس والانفعالات بجمال أسلوبه وعذوبة لنظمه وروعة بيانه ودقة أحكامه
فتعلن النفس وتنشر له الصدور كأنه يوجه الدوافع توجيهاً ويدعو

(5) محمود شاكر: مقدمة الظاهرة الفرنسية ص 30، 31.
(6) الباقلاني: إعجاز القرآن ص 38.
(7) الغزالي: الرسالة اللندنية ص 7 المطبعة المحمودية التجارية.
(8) القياسية / 2.
(9) يوسف / 53.
(10) الفجر / 27.
(11) الزمر / 23.
الإنسان بعد النظر في الكون وما فيه إلى التفكير في نفسه - في أسرار تكوينه البيولوجي والنفسى قال تعالى: "وأوْرُ يَقْصَرْكُمْ وَيَقْصِرَ أَنْفُسَهُمْ مَا خَلَقَ إِلَّا اكْتِبَى وَلَمْ يُخْلِقْنِ" ( أ ) والأرض وما بينهما إلا خلق واجمل مسعي وإن كثيرا من الناس يلقايي، ريبهم لكونورون (1) وقال تعالى: "فِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلا تَبْصِرُونَ " (13) وقال سبحانه: "سِنَرِيمَ آيَاتِنَا فِى الأَفَاقِ وَفِى أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَينُنَّهُمْ أَنَّهُ الْحَقَّ " (11).

ولا شك أن الدارس للنفس الإنسانية في ضوء القرآن يجد فيه معيناً لا ينضب ويتبين تأثيره البالغ الشأن في نفس الإنسان فهو يرقى القلب وتسمو به النفس وتخفف من وحى الحياة وأعباتها فيكون شفاء لما في صدورنا ونورا نمشي به في حياتنا.

ولو أن الناس عكفوا عليه لوجدوا فيه أعظم مصدر للدراسات النفسية والاجتماعية التي تعكس على الفرد والمجتمع بدراً وسلاماً وأمناً واستقراراً.

من وجه الإعجاز في القرآن الكريم
ما من شك في أن وجه الإعجاز في القرآن كبير ومتعدد ولكن العقول لم تصل حتى الآن إلى حصر كل هذه الوجوه فكلاها زاد التذبب في آيات القرآن وتقدم الإنسان بعلومه كان ذلك مدعاة لأن تظهر وجه للإعجاز لم تكن معروفة من قبل.


(12) الروم / 8.
(13) الدرايات / 21.
(14) فصلت / 53.
قال الزركشي: أهل التحقق على أن الإعجاز وقع بجميع ما سبق من الأقوال لا بكل واحد على انفراد فإنه جمع ذلك كله ... إلخ.

ومن وجه الإعجاز التي توصل العلماء إليها على سبيل المثال لا الحصر ما يأتي:

1- إعجاز اللغة (16): فهي أسلوب القرآن تحد للثنائين جمياً. فمن أبلى الأمام كالنباي إن لم يتعلم من العلم أن يؤلف مثل ما احتوى عليه القرآن من آيات هذه الفضاحه والاتساق.

2- إعجاز التشريعي (17): وهذا الوجه يستطيع أي من لا يدركه فهو ليس بالإعجاز اللغوي الذي لا يعرف إلا من تعلم العربية وتدوقيها لأن هذا التشريع تناول جوانب الحياة كلها كأنه صالح لكل زمان ومكان مما جعل علماء الفقه والقانون على اختلاف نحيلهم ومذاهبهم يجمعون على مدى أهمية الفقه الإسلامي وضرورة الإقبال على دراسته والاستفادة منه.

3- إعجاز العلمي (18): ذلك لأن القرآن تكلم في لغة العلم قبل كشفها كما أنه استعمل كلمات وعبارات لم تستوحشها أذواق الأقدمين ولا معارفهم على حين أعاتك بكشف العصر الحديث.

4- تضمنه أحبابة غيبة لا علم لأحد بها (19): وقد ذكر الله تعالى بعض المحبات في كتابه وكانت غيباً حين الإخبار بها ثم حديث كأحبها مما يدل بوضوح على أن الذي أحبها قبل وقوعها هو عالم الغيب والشهادة. وقد

(15) السيوطي: الإتقان في علوم القرآن ج 4 ص 141، 15، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم.

(16) السيوطي: معتبرات الأقران ج 1 ص 27 - 29، الإتقان مرجع سابق ج 4 ص 141، 15، بالبلقاني: إعجاز القرآن ص 54، 55، الرافعي: إعجاز القرآن ص 173 وما بعدها، د/ دار: النباي العظيم ص 71.

(17) أنظر عبد الوهاب خلاف: أصول الفقه ص 32، 33، د/ يوسف القرضاوي شريعة الإسلام ص 99، 100.

(18) أنظر وحيد الدين خان: الإسلام تحتي ص 141 = 143، 213، موريس بوكاية دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة ص 213.

(19) أنظر رشيد رضا: الوحي المحمدي ص 261، أبو زهرة معجزة القرآن ص 339.
تمكن العلماء من كشف كثير من وجوه الإعجاز القرآني مثل إعجازه التاريخي وإعجازه الفلكي وإعجازه الطبي... إلخ. وقد فاجأ الخطابي ت (٣٨٨ هـ) معاصره بوجه جديد للإعجاز يتصدى بالعامل النفسي. الوجداني ذلك هو صنيع القرآن بالقلوب وتأثيره في النفس ووفقه على رأيه بعض العلماء كالجربكي ن (٤٧١ هـ) في الأسراي والدلالات إذ اعتبر مصدر البلاغة في الكلام تأثيره في النفس (٢١).

وفي رأيي أن هذا الوجه عمدة ووجه الإعجاز القرآني على الإطلاق فالروعة التي تلحقق قلوب سامعه وأساعهم عند سماه هي مناط الإعجاز الحقيقي وهي المعجزة القائمة فيه في أبد الدهر وإن أنت تقرأ القرآن إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ولهذا كان هذا الوجه في حاجة إلى المزيد من إلقاء الضوء عليه كما سيأتي:

إعجازه النفسي وروعته ونبيته

وهذا سر من أسرار الإعجاز في القرآن يكمن في ذاته وفي أثره على الأساع وتأثيره في القلوب. فالقرآن فيه من عطاء الله ماتحبه النفس البشرية وسميلها. إنه يخاطب فيها ملكات خفية لا تعرفها نحن ولكن يعرفها الخالق سبحانه وتعالى. وهذه الملكات تتفعل حيث يقرأ القرآن الخطابي (٣٨٨ هـ) كان أول من أشار إلى هذا الوجه حين قال: ( في إعجاز القرآن وجه آخر ذهب عنه الناس فلا يكاف يعرفه إلا الشاذ من آخادهم).

وذلك صنيع بالقلوب وتأثيره في النفس، فإنك لا تسمع كلاماً غير القرآن منظوراً ولا منشوراً إذا قرر السمع خلص له إلى القلب من اللذة والخلاص في حال ومن الروعة والمهابة في أخرى ما يخلي منه إليه، تستبشر به النفس، وتنشرح له الصدور حتى إذا أخذت حظها منه، عادت مرتبة قد عرهاوجب والقلق، وتغشاها الخوف والقلق تتشعر منه الجلود، وتنفرز له القلوب. يحول بين النفس وبين مضراراتها وعقائدها الراسخة فيها (٢٢) وهذه الكلمات توجهنا...

(٢٠) انظر محمد خلف الله، محمد زغلوم سلام: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ص ١٢
(٢١) بيان إعجاز القرآن ضمن ثلاث رسائل في الإعجاز ص ٧٠
إلى ناحية عظمى من نواحي إعجاز القرآن حيث توضح لنا كيف نقرت كلمات الله حبات القلوب، وهرت جوانب الوجدان وامتدت بأرق الأحاسيس واحتلت بارق المشاعر حتى جعلت من السامع عقلاً يدشن وقلبًا يشع ومخاير تطمئن. وقد وافق أبو حيان التوحيد (ت 430 هـ) مفهوم الخطابي في هذا الأمر حيث يقول: (لم أسمع كلامًا ألق بالقلب وأعلق بالنفس من فصل تكلم به بنادار بن الحسين الفارسي وكان بحراً في العلم وقد سأل عن موضوع الإعجاز من القرآن فقال: هذه مسألة فيها حرف على المنى وذلك لأنه شبه بقولك ما موضوع الإنسان من الإنسان؟ فليس للإنسان موضوع من الإنسان بل متي أشرت إلى جلته فقد حققه ودللت على ذاته وكذلك القرآن لشرفه لا يشار إلى شيء منه إلا كان ذلك المعنى آية في نفسه . . وليس في طاقة البشر الإحاطة بأغراض الله في كلامه وأسراه في كتابه فلذل ذلك حارب العقول وتأتي البصائر عنه (1) ويقول السكاجي (ت 932 هـ) (إن الإعجاز يدرك ولا يمكن وصفه كاستقامة الوزن تدرك ولا يمكن وصفها وكيا يدرك طيب النغم العاري للصوت ولا يدرك تحصيله لغير ذوي الفطر السليمة (1).)

وهكذا نرى أن القائلين بهذا الوجه يرون أسرار الإعجاز تكاد تسطع أنوارها على القلب فتفتتح فيه أبواب الإيمان . فهل فتحة كلامه عز شأنه تأخذ بمجمع القلوب وتستولي على وجود الإنسان ماهو وقد صم عن كلام الله موسى عليه السلام أنه كان يسأله شيئاً لا يسمع كلام الخلق، إذ صار عنه كأشد ما يكون من أصول المخلوقات حتى لم يكن يستطيع ساعه بحدثان ماذاق من اللذات التي لا يجلب بها ولا تكيف عند ساع كلام من ليس كمثله شيء، ولولا أنه سببه يغيبه عا ذاق عند مناجاته، مما لا يقدر على وصفه لما أمكن أن يأتني إلى شيء من المخلوقات أبداً ولا افتح به أحد، فسبباه من لطيف ما أوسع كرمه، ومن أعجب الأمر في هذا عدم ذبان الذات وتلاشيها حتى تصير عما بحضا عند

(12) الزركشي: البرهان في علوم القرآن ج 1 ص 100
(13) مفتي العلوم: تلخيص وشرح سعد التفتازاني ص 91
إطلاقها من ذي الجلال على ما اطلعت عليه، لولا أنه أثبته وأمسكها(21).

وما هو جدير بالذكر أن هذا الوجه النفي، التأثيري من وجه الإعجاز لا يقع مستقلًا بذاته بل لابد وأن يكون متصلًا بغيره من وجه الإعجاز الأخرى، كما أنه لا خلاف في الواقع بين القائلين بهذا الوجه وبين غيرهم من أصحاب الوجه الأخرى للإعجاز. فإن تذوق الإعجاز لا يمنع من ببان الوجه التي فجرت هذا التذوق. بل إن الوجه الباباني كله تذوقية تحرك المشاعر ومشاطب الوجدان وتؤثر في الأسس والترق القلب(22).

إنه لاشك في أن هذا الوجه التأثيري وإن كان من أول الوجوه التي أدركتها العلماء وأشاروا إليها في مصنفاتهم إلا أنه كان وسيظل وجها مشروقاً في حياة كل من اتصل بالقرآن الكريم وعاش معه بقلب سليم وروح صافية.

ففي القرآن الكريم طاقة روحية ذات تأثير بالغ الشأن في نفس الإنسان فهو يميز وجدانه ويرهف أحاسيسه ومشاعره ويصقل روحه ويوثق إدراكه وتفكيكه ويجلّ بصريته فإذا الإنسان نتيجة لتأثير القرآن يصبح إنساناً جديداً كأنه خلق خلقاً جديداً، ذلك أن كل من يسمع القرآن سيجد له تأثيراً وخلاوة قد لا يستطيع تفسيراً ولكنها تجذبه إلى الإياان.

وهذه الحقيقة كان أئمة الكفر يخشون سبع الكفاح للقرآن أن يميلوا إليه ولو كان لا ينطب حُمملكات الحفية في النفس لما اهتموا بساعاتهم له أولاً. ولكن شعورهم بقوته وقدره وجذبه في النفس البشرية جعلهم يمرون ساعتهم ويعتدون عليه من يبتلعوه في الأماكن العامة يشاعهم لا أشعاعبطاً بل أشعاعبه وأشعاعوه في élألالغال. تُدعون(23). ولا يمكن أن يكون هذا مسلكهم إلا خوفاً ما يفعله القرآن من جذب النفس الكافرة إلى الإياان وهذا مما تتميز به القرآن الكريم عن أي كتاب في العالم(24).

(24) معتز الأخلاق جـ 1 ص 12.
(25) انظر : د/ أحمد العبري : منهم الإعجاز القرآني ص 266.
(26) قصيدة / 26 - ( والغواب فيه أي شوشوا عليه) .
(27) انظر : في ظلال القرآن جـ 7 ص 239 ، 238 - انظر : الشيخ الشعراوي : معجزة القرآن ( الكتاب الثاني ) ص 146 بتصريف.
فأسلوبه المعجز قرع أساليبه بكلام لم يعهدوه وأسلوب لم يستطيعوا أن يحاكو له منه تزمن من رب العالمين. وهذا الإعجاز لا يمكن أن يتجاهل كل من يعرف قيمة الكلام وبلاغة القول وقوة النظم وفصاحة الألفاظ.

ولم يعرف في تاريخ البشرية أن كلاماً قارب القرآن في قوة تأثيره في العقول والقلوب فهو الذي قلب طباوع الأمة العربية وحولها عن عقائدها وتأقليدها وصرفها عن عاداتها وعداواتها وصدف بها عن أثرها وثراتها وبدلها بأبحاثها حكمة وعلماً وبحاجيلتها أدباً وحلياً، وألف من قبائلها المفترقة أمة واحدة سادت العالم بعفائدها وفضلها وحضارتها وعلومها(28). إلخ.

وهوذا يؤكد تأثير القرآن في الأمة العربية بخلاف غيرهم من اليهود من أهل الكتاب الذين ليس لكتابهم أدنى تأثير في نفوسهم.

مقارنة بين تأثير القرآن في العرب والتوراة في بنى إسرائيل

إن ما رأى بنو إسرائيل بمسى من آيات موسى عليه السلام لم يأوه في مدة النبي في سيناء، وما أدركوه من عنانيه الله تعالى بهم، ومن سياهم كلام الله تعالى بآذانهم في هيب النار المشتعلة على ما رويه توراتهم ولم يثبت عندنا التكليم إلا لنبيهم. لم يتغير بذلك كله ما كان بأسفسهم من تأثير الوثنية المصرية وخرافاتها الراضخة في قلوبهم ولا من تأثير السياسة الفرعونية المستبدة في أخلاقهم فقد عاندوا موسى وعذربوه واستمروا على عبادتهم للعامل الذي اعنت لهم في التوراة بالشعب الصلب الرقة - كتابه على البلادة والعند - فأين بنوا إسرائيل من أصحاب محمد ﷺ الذين تربوا بسياق القرآن وترقبته وتذكيرها، في رسومهم في الإيمان وصبرهم على أذى المشركين ومجادلة أغنياهم من أهل الكتاب و كانوا مضرب المثل في الرحمة والعدل ووضع الخيرة لعفائدهم الاجتماع والقادات الحرب(29).

(28) انظر: محمد عبد الله: تفسير المدارج 1 ص 204.
وأيُّ شعبٍ يبلغ الشعَب الذي وصفه ربه في كتابه بالشعب المتمرد الصلب

القويةٌ 8 - درجة الذين وصفهم ربه العالمين بقوله: ﴿مُحَمَّدٍ رَسُولُ اللَّهِ وَلَدْنِي مَعَ أَبِيَّاً إِنَّ اللَّهَ رَحِيمٌ رَحِيمٌ﴾ مَعَنَا سَيَعْمَهُمُ الْكُفَّارَ رَحْمَةً بَيْنَهُم مِّن رَّحْمَةِ رَبِّهِمْ فَمَعَنَا فَمَا خَالَتْهُمْ مِنْ اللَّهِ وَرَضَوْنَا سِيَامُهُمْ في وَجُوهِهِم مِّنْ أَنَّهُمْ سَجَدُوا ذَلِكَ مَثَلَّهُمْ فِي النَّارِ وَمَثَلَّهُمْ فِي الْجِنَّا

تَعَزِّي عََّرْجَ شَطَّهُ وَفَازَرهُ فَأَسْتَغْلَزَ فَاشِتَأَوْا عَلَى سُوَقِهِ بَعْجُوبَ الرَّأَعَ يَتَحَيَّطَ ﴿فَوَانَى الْكُفَّارُ وَعَدَّ اللَّهُ الْأَلْبَةَ فَأَمَاتُوهُ وَأُعِلِّمُوا الْصَّلْحَاتِ مِنْهُ مُغَفَّرًا وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ 81 الآية.

لا جرم أن سبب هذا كله تأثير القرآن بهذا الأسلوب الذي نراه في المصحف فقد كان النبي ﷺ يجادل به الكافرين كأمره الله بقوله: ﴿فَلا تطبع الكافرين وَجَاهِدُهُمْ بِجَهَادٍ كَبِيرٍ﴾ 82 ثم كان ميير المؤمنين ويزكيهم كما قال الله تعالى: ﴿فَمَيْلَ رَحْمَةٌ مِّنَ اللَّهِ لُبِسْلَهُمْ وَلَوْ كَتَبْتُ فَظًا عَلَيْهِمْ لَنُفَلِّضُوا مِّنْ حُرْكٍ قَاعِفٌ عَنْهُمْ وَأَسْتَغْفِرُوهُمْ وَشَارَوْهُمْ فِي الْأَلْبَةِ فَإِذَا عَزَّزَتْ فَنُوْكِلُ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحْبِبُ الْمُتَوَّكِينَ ﴿83 الآية.

وبدايته والتالي بملعقة ﷺ ربا الأمم وهذوها وقيل أنها قبله أحد كيا كنايا يقرأون إلا ويحيDI به كيا كانوا يبتدون على اتفاوت في الاستعداد النفسي واللغوي واختلاف الزمان لا يخرج ل. (42)
الطبيعة التأثيرية للقرآن ومنهجه في تحقيقها

إنه طبيعة الهدية والريادة والهيمنة لكل من سمعه إنما كان أوجناً حياً كان
أو جامداً. أما أثر هذا في أصحاب الحياة فبفضل ما يأتي:

1- تأثير الجنى بسماعهم للقرآن:

يدل القرآن والسنة على أن نفرا من الجن رأوا رسول الله بhtagsrazy بخلة عامةً إلى
عكاظ وقد حيل بين الجن وبين استرقاق السمع من السياح فكانوا يبحثون عن
السبب في أرجاء الأرض فاستمعوا إليه وهو يصلى بصاحب صلاة الفجر فتأثروا
بسمعهم للقرآن وآمنوا به ورجعوا إلى قومهم يدعوونهم إلى الإيمان قال تعالى (وإذ
صرفتنا إلىك نفرا من الجن يستمعون القرآن فلا حضروه قالوا أنصتوا فلما قضى
ولوا إلى قومهم منذرين ) (34) وفي هذا تصوير للأثر الذي انطبع في قلوبهم من
الإنصات للقرآن فقد استمعوا صامتين مبتenuous حتى النهاية بغير تمثل أو ضجر
فلما انتهت التلاوة سارعوا إلى قومهم وقد حلت نفوسهم ومشاعرهم منه مالا تطبق
السكون عليه أو التكؤ في إبلاغه والإنداد به كما حلفت مشاعرهم بموجب قاهر
غلاب بدفعهم دفعاً إلى الحركة به والاحتفال بشأنه وإبلاغه للآخرين في جد
واهتمام. إن وضع هذا القرآن في القلوب هائل ضخم لا يخف له قلب غير
مطموع ولا تصمد له روح غير معاندة ولا مشدودة باللهوى.

ومن ثم لمس هذه القلوب لأول وصلة فإنا هي صامتة مأخوذة تنطق بأنه يهدى
إلى الحق وإلى طريق مستقيم فقوله (قالوا ينقومنا إنا سمعنا كنعباً أزرل من بعده
موسى مصدقاً لما بين يديه بحمد إلى آخره إلى طريق مستقيم الآية(34) ثم انقلبوا له
داعين متحمسين (يا أباهم أجيبوا داعي الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم
ويعركم من عذاب الليم) (35) فأنزل الله على نبيه (قل أوجي إلى أن أسمع نفر
من أجننا فقالوا إنا سمعنا فرحنا أن نسمع ) (36)
وإنما أوحى إليه قول الجن (١٣١) ولم يرهم الرسول ﷺ في هذه المرة ولم يقرأ عليهم وإنها آذنته بهم شجرة (١١٥) ثم أوحى إليه خبرهم (١١٤) وبعد هذه الحادثة دعا الجن رسول الله ﷺ وهو معسكر بأصحابه خارج مكة فذهب معهم وقرأ عليهم القرآن ثم أرى أصحابه آثارهم وآثار نيرانهم (١١٣) وقد بين الشعبي أنهم وقد جن نصيبين (١٠٤). إن جلال المعاني القرآنية كان له جاذبية حلوة تستجيب لها العاطفة النيرة وينشد إليها القلب الصادق ويتذوق حلاوتها ووجدان السليم.

٢ - تأثير القرآن الكريم في أنفس العرب:
لقد كان تأثير القرآن في أنفس العرب وإحداثه تلك الثورة الكبرى فيهم على نوعين:
أولاً ما أحدثه من الزوال في المشركين، وثانيها تزكيته للمؤمنين ونزعه كل ما كان ينافسهم من غل وجهل وظلم وفساد ويتضح ذلك فيباً يتأتي:

١) تأثير القرآن في أنفس المشركين:
لقد تأثر المشركون بروحته بلاغته ودهشة نظمه وأسلوبه الجاذب، ففهم دعوته والإيام به إذ لا يخفى حسنها على أحد فهمها، وكانوا يتفاوتون في ذلك تفاوتًا كبيرًا لاختلاف درجاتهم في بلاغته وفهم معانيه العالية. روى أن عمر بن الخطاب رق قلبه إليه متأثرًا ببيانه الساحر وروعة تصويره حين توجه إلى ختنه فبطش به وبأخته... وبعد حوار أحد الصحابة التي كان خيبان بن الأرت يقرئهما إياها وفهي سورة طه فلم يقرأ صدراً منها قال (ما أحسن هذا الكلام)

(٣٩) انظر فتح الباري ج١ ٢٥٣ الص ١٧٠ - ١٧٨، مسلم بشرح النووي ج٤ الص ١٧٦ - ١٧٨، الترمذي ج١ ٢٤٧، وقال هذا حدث حسن صحيح.

(٤٠) فتح الباري ج٦ ١٧١ مسلم بشرح النووي ج٤ الص ١٧٨، الترمذي ج١ ٢٤٧.

(٤١) فتح الباري ج١ ٢٥٣ مسلم بشرح النووي ج٤ الص ١٧٦ - ١٧٨.

(٤٢) مسلم بشرح النووي ج٤ الص ١٧٦ - ١٧٨.

(٤٣) فتح الباري ج٦ ١٧١ من حديث أبي هريرة وانظر في ظلال القرآن ج٧ الص ٤٢٣، ابن كثير ج١ الص ١٧٦ - ١٧٣، ابن كثير السيرة ج٢ الص ١٥٣ تحقيق مصطفى.

٥٤
وأكرمه ثم ذهب إلى النبي ﷺ وأعلن إسلامه(٤٣). فكان للقرآن الكريم تأثير قوي في إجتذاب عمر إلى صف المسلمين لتدوره للقرآن وإجابته به. وقصة الولد بن المغيرة المخرجتمي توضح مدى ما كان من تأثير القرآن في نفوس المشركين. وتلخص قصصتة في أن النبي ﷺ قام في المسجد يصلي والولد بن المغيرة قريب منه يسمع قراءته فانطلق الولد حتى أتى مجلس قومه فقال لهم تزعمون أن محمداً مجنون فهل رأيته يتناقق قط؟ وتعزمن أنه كاهن فهل رأيتونه يتكهن؟ وتعزمن أنه شاعر وما فيكم أحد أعلم بالشعر مني فهل رأيتونه ينطق بشعر قط؟ وتعزمن أنه كاذب فهل جريم عليه شيئاً من الذلب؟ يسألهم ويجبه نفسلوم عن رأيه في بلاغة القرآن فامتن في التفكير ثم قال: ما هو إلا سحر يؤثر أما رأيته يفرق بين الرجل وأهله وولده موالاه؟ فهو ساحر وهذا هو السحر المبين(٤٤) وما استطاع أن يقول كلمة أخرى في الصد عنده بعد إلحاح أبي جهل عليه باقتحامها إلا يكلف لكبارة عقله ووجدانه وبعد أن فكر وقرد وبسر وأدوار واستكر، وكان من قبل قد اعترف له بكلمة العالية فيه بأنه الحق الذي يعلم ولا يعلم عليه والذي يحكم ما تحته، فكانت كلمة صادرة من نور عقله وصميم وجدانه نابعة من تأثير القرآن على قلبه ولبه.

وقصة عتبة بن ربيعة نموذج آخر من النذاذ التي تكشف عن تأثير القرآن الكريم في نفوس المشركين وكان عتبة سيئاً في قوله فجاء إلى النبي ﷺ وكلمه فيها جاء به من خلاف قومه فتا عليه: ﴿حَسَنَ ﺗَنَزِيلُ ﻣِنَ الْأَرْحَمِ ﻣَلِكَتَ ﻣِنْ أَرْضٍ ﻛَبِيرَةَ ﻛُبْرَاءَةَ قَرْأَانًا أَخْرَى ﻛَبِيرًا ﻛُلِّمُوْنَ ﺑِمَنْ ﻋَلِمُوْنَ ﻴِبْرَاءًا وَبِذَٰلِكَ فَأَفْعَضْ أَكْثَرُهُمْ فَلَا يَسْمَعُونَ ﰲَوْلاَ قُلُوبُهُمْ فِي أَكْمَهٍ ﺑِسَاءَةٍ إِلَى وَفِقِهِ أَذَانًا وَقَوْرَ﴾

(٤٤) فتح الباري ج٦ ص١٧٦، ١٩٣، ابن سعد: الطبقات الكبرى ج٣ ص٢٦٧، ابن هشام: السيرة النبوية ج١ ص٣٦٩، الباقيلي: إجازة القرآن ص٣٥، ابن كثير: السيرة النبوية ج٢ ص٣٢ وما بعدها تحقيق مصطفى عبد الواحد، ابن حجر الإصابة: ج٤ ص٣٠٠.

(٤٥) ابن هشام: السيرة النبوية ج١ ص٢٨٨، ٢٨٩، عبد الوهاب خلف: أصول الفقه ص٣١، الوحي المحمدي: ص١١٨.
ومن بيننا وبدنك تجاه فاعل، إذا عيهرُونَهُ، فَأَقُلْ إِنَّا أَنَا بِمَلَكٍ يَوْحِي إِلَى أَنَا 
إِلَهُكُمْ إِلَى وَهَٰذِهِ قَلَبِكُمْ إِلَيْهِ وَأَسْتَغْفِرُوهُ وَوَبِلَّ الْمُشْرِكِينَ، إِنَّ اللَّهَ لَا يُؤْمِنُ الْكُفَّارُ وَهُمْ يَأْخُذُونَهُمْ كَفْرُونَ، فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ عَزِيزٌ 
وَمَا بَعْدُ الْكَفَّارُ فَلَسَتُمُونَ وَلَوْ أَنَّ اللَّهَ غَفُورَ عَزِيزٌ بِأَقْرَبْهُمْ وَبِأَقْرَبْهُمْ مَثَلًا. فَلَوْ أَنَّ اللَّهَ غَفُورَ عَزِيزٌ بِأَقْرَبْهُمْ وَبِأَقْرَبْهُمْ مَثَلًا 
وَمَا بَعْدُ الْكَفَّارُ فَلَسَتُمُونَ وَلَوْ أَنَّ اللَّهَ غَفُورَ عَزِيزٌ بِأَقْرَبْهُمْ وَبِأَقْرَبْهُمْ مَثَلًا. فَلَوْ أَنَّ اللَّهَ غَفُورَ عَزِيزٌ بِأَقْرَبْهُمْ وَبِأَقْرَبْهُمْ مَثَلًا 
وَمَا بَعْدُ الْكَفَّارُ فَلَسَتُمُونَ وَلَوْ أَنَّ اللَّهَ غَفُورَ عَزِيزٌ بِأَقْرَبْهُمْ وَبِأَقْرَبْهُمْ مَثَلًا. فَلَوْ أَنَّ اللَّهَ غَفُورَ عَزِيزٌ بِأَقْرَبْهُمْ وَبِأَقْرَبْهُمْ مَثَلًا 
وَمَا بَعْدُ الْكَفَّارُ فَلَسَتُمُونَ وَلَوْ أَنَّ اللَّهَ غَفُورَ عَزِيزٌ بِأَقْرَبْهُمْ وَبِأَقْرَبْهُمْ مَثَلًا. فَلَوْ أَنَّ اللَّهَ غَفُورَ عَزِيزٌ بِأَقْرَبْهُمْ وَبِأَقْرَبْهُمْ مَثَلًا 
وَمَا بَعْدُ الْكَفَّارُ فَلَسَتُمُونَ وَلَوْ أَنَّ اللَّهَ غَفُورَ عَزِيزٌ بِأَقْرَبْهُمْ وَبِأَقْرَبْهُمْ مَثَلًا. فَلَوْ أَنَّ اللَّهَ غَفُورَ عَزِيزٌ بِأَقْرَبْهُمْ وَبِأَقْرَبْهُمْ مَثَلًا 
وَمَا بَعْدُ الْكَفَّارُ فَلَسَتُمُونَ وَلَوْ أَنَّ اللَّهَ غَفُورَ عَزِيزٌ بِأَقْرَبْهُمْ وَبِأَقْرَبْهُمْ مَثَلًا. فَلَوْ أَنَّ اللَّهَ غَفُورَ عَزِيزٌ بِأَقْرَبْهُمْ وَبِأَقْرَبْهُمْ مَثَلًا 
وَمَا بَعْدُ الْكَفَّارُ فَلَسَتُمُونَ وَلَوْ أَنَّ اللَّهَ غَفُورَ عَزِيزٌ بِأَقْرَبْهُمْ وَبِأَقْرَبْهُمْ مَثَلًا. فَلَوْ أَنَّ اللَّهَ غَفُورَ عَزِيزٌ بِأَقْرَبْهُمْ وَبِأَقْرَبْهُمْ مَثَلًا
حرب، وأبو جهل بن هشام والأخنات بن شرف بن عمرو فرادي مستحنين، مسالين ليلة ليستمعوا من رسول الله ﷺ وهو يصل من الليل في بيته فأخذ كل رجل منهم مجلساً يستمع فيه وكل لا يعلم بمكان صاحبه فإن أتوا يستمعون له ... حتى إذا طلع الفجر تفرقوا وجميعهم الطريق. فعلوا ذلك ثلاث ليل وفي كل ليلة يتعاهدون ألا يعودوا ثم في نهاية الأمر تلموا ثم تعاهدوا ألا يعودوا(48). ما هذا السحر الذي يسمعون وما هذه الحلاوة التي لا يطيقون البعد عنها وما هذا الغرام الذي يهمون به ويتكون من أجل كل قيمة وكل نوم وكل راحة حتى بيت هؤلاء السادة متلصقين متنازلين عن كرامتهم ليستمعوا القرآن ويرتدوا بآياته وكلماته. إنه لا شك شيء غير عادي وشيء يدعو إلى التأمل والدهشة. ويتجلى هذا التأثير القرآني أيضاً في قلب المغيرة بن شعبة حين قرأ عليهم الرسول ﷺ القرآن فأخذته رعدة وقشعريرة، وانه جبرته وخشع حديثه واحتار في أمره وقد سألته فريق عن القرآن فقال: إذا أقول؟ فإن الله ما منكم رجل أعرف بالأشعار مني ولا أعلم برجزه أو بقصصته مني ولا باشعار الحزن، والله ما يشبه الذي يقول شيئاً من هذا والله إن قلبه الذي يقول حلاوة، وإن عليه لطلاوة وإن له ثمير أعلاه مغدق أسفله وإنه يعلم ولا يعلم عليه وأنه ليحطم ما تحته(49).

وهو هذا التأثير للقرآن هو الذي حمله على صد النبي ﷺ بالقوة على تلاوته في البيت الحرام وفي أسواق الموسم ومجامعه متلألؤن أنه كان يقرأ القرآن خاصعاً أولاً متألقاً فتفعل قراءته في جذب الناس إلى الإيمان، مالم تعمل جميع آيات الأنباء الأولين(50). وهذا هو الذي حملهم على منع أبي بكر الصديق رضي الله عنه من الصلاة والتلاوة في المسجد الحرام لما لتلاوته وبيكاته في الصلاة من التأثير الجاذب إلى الإسلام فاستخدام مسجداً ببناء داره فمنعوه منه خشية على نسائهم وأبنائهم.

(48) انظر الوفى المحمدي ص 120، الرقامي: إعجاز القرآن ص 314 السيرة النبوية ج 1 ص 337، البهيقي: دلالات النبوة ج 1 ص 199، ابن كثير السيرة النبوية ج 1 ص 505 مرجع سابق.

(49) ابن كثير السيرة النبوية ج 1 ص 499، الأ bóحاني دلالات النبوية ج 1 ص 303، البهيقي دلالات النبوة ج 2 ص 198، السيوطي معترك الأقران ج 1 ص 444.

(50) الوفي المحمدي ص 120.
فخرج مهاجراً فقابله ابن الدغنة فأرجعه إلى مكة في جواره.

وأما يؤكد روعته وتهيئته وتأثيره ما روى أن فيبر بن مطعوم قال سمعت النبي ﷺ يقرأ في المغرب (والطور) فلما بلغ هذه الآية "أم ألم أرىكم أصلحاً وآثرت بالله يعفون عليكم وأهلهم" كاد قلبي أن يطرق ورواية ذلك أول ما دخل الإيابين قلبي) وأما يؤكذب جاذبية القرآن وتأثيره ما حدث مع الطفل بن عمرو الدوسي وكان سيداً مطاعاً في قومه ولما قدم مكة اجتمع به القرشيون وجرياً على سياسة التشويش خذروه من محمدي ونصحه فاقتتنع بكلامهم وحشي صيام أذنيه قطناً حتى لا يسمع شيئاً منه وغدا الرجل إلى الكعبة وتصادف ووجه الرسول ﷺ وبالفعل حاول الرجل أن لا يسمع منه ولكن ما وهب الله لرسوله من جاذبية جعلته بيأ إلا أن يسمع بعض ما يقول به ثم ذهب إليه في بيته وحكى له ما حدث ثم قال: ولكن الله أبا إلا أن يسمعي قولك فسمعت قولأ حسناً فأعرض على أمرك فعرض الرسول ﷺ عليه الإسلام وتلا عليه القرآن مما جعله يقول فلا والله ما سمعت قولأ أحسن منه وأمرأ أعدل فأسلمت.

ومن التأثير القرآني ما ورد في حديث إسلام أبي ذر الغفاري قال: (ما سمعت باشتر من أخي أنس لأنه نافض أثني عشر شاعراً في الجاهلية أنا أحدهم، وقد انطلق إلى مكة وجاء أنس إلى أبي ذر بخبر النبي ﷺ فقال أبو ذر: فما يقول الناس، قال يقولون شاعر كاهن ساحر لقد سممت قول الكهنة فإنه يقول لهم و름 ووضعه على أوزان الشعر فلم يلتحم وما يلمتحي عن لسان أحد وإنى لصداق وإيهم للكاذبون) ثم قدم على النبي ﷺ فأسلم إسلامه.

(1) انظر: ابن هشام السيرة النبوية 2 ص 12، البخاري باب الهجرة ج 4 ص 74.
(2) الوجي المحمدي ص 119، 120.
(3) الطور 35 73.
(4) راجع فتح الباري ج 7 ص 249، الإصابة ج 1 ص 235، معطر الأفران ج 1 ص 343، البخاري العظيم ص 93.
(5) ابن هشام: السيرة النبوية ج 1 ص 362، 383.
(6) أبو زعيره: المعجزة الكبرى القرآن ص 19، رحم الله الهندي: إظهار الحق ص 319.

58
العقبة الأولى تبين أن وفد الخزرج أسلموا بمجرد أن تلا عليهم الرسول ﷺ آيات من القرآن عندما لقيهم لأول مرة في العقبة ثم معاودوا إلى يثر أظهروا الدين بها حتى لقد قبل فتحت الأنصار بالسيف وفتحت المدينة بالقرآن (47). وفي حديث بيعة العقبة أيضاً أن الرسول ﷺ ندب صاحب مصعب بن عمير ليذهب مع أصحاب العقبة إلى يثر ليقراهم القرآن ويعلموه الإسلام فنزل هناك على أسد بن زرارة فلم يسمع بذلك سعد بن معاذ وأسعد بن حضير ضافاً بها وأنكرا موضعهما من الحي. فذهبا إليه زاجرين لما تعرض مصعب للدعوة بالحكمة ثم تلا آيات من القرآن نفدت إلى قلبهما فتمّقت عنه حجب الغفلة وخشأوا الضلال وأعلّنا إسلامهما (78) الواحد تلو الآخر. وروى أن النجاشي حينا سمع صدر سورة مريم من جعفر بن أبي طالب بكي حتى احضرت لحيته. وقال إن هذا والذي جاء به عيسى ليخرج من ملكة بكي واحدة، وروى أن وفدًا بعضهم النجاشي إلى رسول الله ﷺ ليروه ويعرفوا حاله فقرأ النبي ﷺ عليهم القرآن فيكونوا آمنوا. فأنزل الله ﷺ عليهم فهذا مبيناً ما أنزل إلى الرسول ﷺ تزئّ أعويتهم تلبّض من الدّعّة مما عرفوا من الحَقّ يتوّلون رباً، اذًا فكنا مع الشّهيدين، الآية (79). ورجعوا إلى النجاشي فآمن ولم يزل مؤمناً حتى مات فصلى عليه النبي ﷺ. وكما ورد أن وفدًا من نجران قدم على أبي بكر الصديق في شيء من أمورهم فأمر من يقرأ القرآن بحضرتهم فكوا بكاء شديداً. فقال أبو بكر: هكذا كنا حتى قست القلوب (80).

وقد توالت الآيات القرآنية لسماع الآذان وفتح الأبصار وتحرك القلوب

(75) الخطيبي: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ص 71.
(76) ابن هشام: السيرة النبوية ج 2 ص 436، 437، 438، ابن سعد: الطبقات الكبرى ج 3 ص 230، 421، ابن الأثير: أسد الغابة ج 2 ص 396.
(77) المائدة / 83.
(78) المائدة / 87.
(79) ابن عطية: المحرر الوجيز ج 5 ص 6، ابن هشام: السيرة النبوية ج 1 ص 265، ابن الأثير: الكامل ج 3 ص 56، ابن كثير: البداية ج 3 ص 70، والطبري: تاريخ الطبري ج 2 ص 335.
(80) الجاحظ: البيان والتنبيين ج 3 ص 151 تحقيق هارون.
وتعي العقول ويستضيء الوجدان، فالقرآن يرضى الطموح العقلي ويبلي الإحساس القلبي ويشبع القوى الفطرية وينعش الطاقة الشعورية وينشط الإرادة الإنسانية ويحرق الدوافع الخبيثة وينمض الإنسان الصفاء والمطمنة والأمن النفسي (ألا بذكر الله تطمنت القلوب). هكذا كان تأثير القرآن في القلوب الصالحة رغم المعاناة والكمياء والعداوة وهذه هي المعجزة التي أبدى الله بها نبيه الأمى، والتي غير بها نفساً وأحيا قلوباً وأنار بصائر وربى أمة وكون دولة في سنن تعد على الأصابع.

وإذا كان قلب العصا حية معجزة فإن تغيير العقول والقلوب أبلغ في الإعجاز وإذا كان إحياء المبت من الخوارق التي أبدى الله بها بعض أبنائه فإن إحياء أمة أمية من الجهل والرذيلة وجعلها مصدر إشعاع وهدية فليس في الخارق الذي تنضاؤل في جوانب جميع المعجزات وما تقدم نخلة إلى حقائق ثابتين هامتين:

الحقيقة الأولى: إن قريشاً مع شدة ملاحاتها للنبي ﷺ ومع أن القرآن قد ذكر أباءهم بغير ما يجبون وذكر أوثائهم بغير ما يؤمنون لم يتحركوا لأن يقولوا مثله وأذعنا لبلاغته وقوته وما أسلم من أسلم منهم إلا بعد أن قرأ فيه واقتنع به كما أن القرآن تجاههم أن يأتي بهم مثله فإفعالوا بل ما تحرك العقلاء منهم لأن يفعلوا حتى لا يسفوا في تفكيرهم وهم أمام رجل كبير في قومه وعطقه ومعه آيات الله تعالى فينهاة من عجز مطلق.

الحقيقة الثانية: إن القرآن جذب العرب إلى الإيابان بما فيه من روعة وقوة بيان وإيجاز معجز وأقوال محكمة وقصص تطوّل وتتقصر وهي مملوئة بالعبر في طولها وقصرها وإطاباتها الرائع وإيجازها الذي لا يدع صغيرة ولا كبيرة إلا أوفاه بالعبارة الناصعة والإشارة الواضحة فإن الإيابان نتيجة تحد للمقاويل منهم وعجز وإن كان العجز ثابتاً، وإنها كان الإيابان ثابتاً بالقرآن فهو الذي جذب إلى الإيابان بما فيه من بيان أدركوا أنه فوق طاقة البشر وأنه حقائق ثابتا، كما قال تعالى: (لقد أرسلنا رسالنا إلى البيات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقضت وأنزلنا

(28) الرعد / 31
الخseud فيه بأس شديد ومناع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب إن الله قوى عظيم).

وإن الثابت مع ذلك أنه لم يحاول أحد من أهل البيان أن يأتي بمثله. ولم يعرف ذلك وإن في التاريخ لم يبرغ أصحاب الغور فانطلقوا بواجبهم هذا التحدي فجاءوا في محاربة القرآن بكلاه لا يشبه القرآن ولا يشبه كتاب أنفسهم بل نزلوا به إلى ضرب من السحابة والتهفة بآية عمار بقية عمار وشثاره. فمنهم عاقل استحضا أن يتم تجره فحبطم قلمه ومزق صحيفته.

ومنهم ماقر وجد الناس في زمنه أطفال من أن تروج فيهم مهاراتهم فطوى صفحه وأخذها إلى حين.

ومنهم طايش برز بها إلى الناس فكان سخرية للساخرين وثلا للآخرين.

هذه بعض تفاصيل القول عن بعض الذين حاولوا معارضة القرآن وقد

(64) ما حدث مع ابن المفتي وأبي الطبيب المتنبي والمغربي وأبو الحسن أحمد بن يحيى المروزي.

(65) يقول: إجعاق القرآن ص 176 و 185. ابن توبة الشعر والشعراء.

(66) ص 275 تحقيق الشيخ أحمد شاكر.

(67) من ذلك ما شاهدناه عن تلك الكتب التي وضعها زعماء نحاتي القديم والحديثي للهاليدية للهاليدية.

(68) وينقلون ويفيدون فيها لأنفسهم النبوة والأنبياء ولكن أنتم عليهم لم تجروا أن يذيعوا تلك الكتب ونسب العلم لفاحشا إلى أن نحن عندنا عضو في الجاهلية.

وتساعد فيه النقوش لقول أثناها وأنا في ذلك اليوم. أنظر: البنا العظم ص 82.

(69) ومن هذه مسيرة من حبيب الكذاب وطليقة ابن خويدج الأسدي وسجاح بن الحارث ابن عبيبة. فما زعم مسلمون أنهم يروجون بكلام مثل القرآن وصان شيء إلا أنه كان يريد إلى أي من القرآن فضير أكثر أنفسهم ويدخل بعضهم كقوله: (إذا أعطتكم الجاهل فصل لريك وجحمر) أو أنهم على وزن الكلمات الفردانية بكلمات سوية في قولهم (والطاحات طهنة والعناجات عجنا والخافات خبا). وهذا لم يستطع وهو العربي الفأسي أن يقلص بأسلم نفسه بل نزل إلى حد الإسوف وأي العبث الذي يأتيه الصبيان في مداعبهم بقلب الشعائر والأغاني عن وجهها. وهذا ليس من الغير إذ إنهم في اعتراضهم لهم في الحقيقة فقد كان كثيرون من الشاعرين يumbnون بالكتب والمحفظة ويدعون حتى لا يمكن في تعاطيه الكهانة حائلا ولا في دعاء النبوة صادقا. وإذا كان اتباعهم يأتي من بناء قومه (ذين أستعمل أنفون من صحراء مصر). أنظر: البنا العظم ص 82 - 84 هاشم. الإسلام يتحدى ص 124، ص 125، الباقلان إجعاق القرآن ص 240 تحقيق أحمد صقر.
أسفوا في القول ويبطوا في التفكير بما لم يرد أن ينحدر إليه أرباب البيان من قريش لأهم يعرفون مقام ما يسمعون من كلم رب العالمين، استطاعوا أن يجدوا الحق. وقد عرفوه، ولم يستطيعوا أن ينزلوا بمقامهم من الإدراك البيان في فندوا بياتهم وذوقهم الكلامى، وإن ارتفوا أن يفسدوا عقائدهم ويكاروا في دينهم ويكذبوا رسالة رحمهم. فمن حدثته نفسه أن يعيد هذه التجربة مرة أخرى فإننظر في تلك العبارات ليوحده باحسنها ومن لم يستحي فليصنع ما يشاء.

(ب) تأثير القرآن في أنفس المؤمنين:

لقد كان من أثر القرآن في أنفس المؤمنين أن جعلهم لا يعرفون هامته إلا لمزل القرآن فهو وحده القوى المتنين فلا اختبار غير اختيار ولا شريعة غير شريعته وجين يستوعب الإنسان كليات ربه يحسن بيهد في كل ما حوله ويعيش في أنسه ورعيته، وكان كل من يدخل في الإسلام قبل الهجرة بلقن ما نزل من القرآن ليعبد الله بتلاوته فيزل ما يحفظه في صلاته وفي غيرها ليلًا ونهارًا افتقدًا بالنبي ﷺ، وما ورد في صفه الصحابة رضي الله عنهم أن من كان يمر ببيتهم ليلًا يسمع منها كدوي النحل من تلاوته القرآن ومدارسته وفهمه فأثرت به حيائته. فقراءة الصحابة للقرآن في الصلاة وتدبره في غير الصلاة جعلت هذه الفئة سيات وخصائص حيث غبر كل ما كان ينفسلهم من مفاسد الجاهلية وزك باخلالهم نحو الكمال وأحدثت أعظم ثورة روحية إجتنابية في التاريخ وربما كان أحدهم يقوم الليلة بآية واحدة يكررها متكررًا لها. وكانوا يقرأونها في كل حال كما وصفهم الله بقوله: "الذين يذكرون الله في نومهم وفجأ، وعلى جنوبيهم ويسكنون في خلقت السماوات والأرض بناءً ما أحلمت هكذا ببطلاً سجنتك فظنت غاذب المأوى" (21).

وأعظم ذكر الله تلاوته كتابه المشتلم على ذكر أسبابه الحسنى وصفاته المقدسة وأحكامه وحكمه وسنته في خلقه. وأفعاله في تدبير ملكه وقد وصف الله تعالى فعل القرآن في هؤلاء المؤمنين بقوله (الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً مثاني

(66)العمران / 191 .

٦٢
تقصير منه جلود الذين يغشون بفهم ثم تلين جلودهم وقولونهم إلى ذكر الله (17)
ولو كان القرآن ككتب القوانين والفنون لما كان لتلاوته كل ذلك التأثير في قلب الطبع وتغيير الأوضاع، بل كانت تلاوته مثقل فترك، فأسلوب القرآن المميز من أعظم أنواع إعجازه اللغوي وتأثيره الروحي ومن أرتب في هذا فلينظر في المسائل التي تشتمل عليها السورة وليحاول كتابتها نفسها أو مثلها بأسلوب تلك السورة ونظمها أو أسلوب سورة أخرى كالسورة التي تكرر فيها الموضوع الواحد بالإجلاس الموجز تارة وبعض التفصيل تارة وبالإطلاع فيه أخرى كالاعتبار بقصص الرسل مع أقوامهم في قصار المفصل ( كالذارييات والقمر والخافة ) وفيها فوتها ( كالمؤمنون والشعراء والنحل ) وفيها هو أطول منها ( كالاعراف وهود ) ثم لينظر ما يفضي إليه عجزه من السخرية والتكرار الموفي الذي يتمثى منه الذوق غذيانًا وتحكي القلب و تعالى استفزاعًا (18) وما كان محمد ولا أحد من أهل عصره يعلمون هذا ولكن الله يعلم من طابع الأمم والجماعات فوق ما يعلمه حكايته كل عصر وإنها القرآن كلامه وليس فيه من التكرار إلا ماله أكبر الشؤون في انقلاب الأفكار وتغيير ما في الأنفس من العقائد والأخلاق، ولو جمعت أبلغ خطب رجال السياسة التي أحمدت التأثير في أحزابهم وقروئت بعد ذلك مرات قليلة لسعار الملل إلى نفس كل قاريء حتى أتتبع ذلك الخطيب أنفسهم وقراءة القرآن لا يمل عنده أصح يفهم معانيها وي الجمهور حلاوة أسلوبها. ولذلك كان وصف الله للخاشعين عن عباده عند تلاوته كتابه ( إن الذين أتوه العلم من قبله إذا يتل عليهم يخرجون للأذقان سجداً ويقولون سبحان ربي إن كان وعد ربي لمفعولاً وخرجون للأذقان يكون ويزيدهم خشواً (19) ولما ذكر الله تعالى خواص الأنباء والرسلين وذكر فضائلهم ومفاتيحهم وأخبر أنهم كانوا إذا تتب على أيات الرحمن ( خروا سجداً وركاً (20) والشعور بالرهبة والوقفة يغمر المؤمن وهو يستمع إلى قصص الأولين والآخرين لبسان الحق. ثم يتبعها فيض من المواضع والحكم

(27) الزمر / 23
(28) النصر / 63
(29) الصراف / 109
(30) مريم / 88
والمغازي والعبر تشاعر منه الجلود ويرسخ معناه في القلوب. فالقرآن تأثيرات
بالغة على النفس والقلوب التي استجابت لهدية واستضائله بنوره تنعكس على
البدن كله بالبكاء والخشية والخضوع والسجود لله رب العالمين.

3- تأثير القرآن في الجماعة:
فإن القرآن يعرض هذا الأثر وهذا الزلال من الخشية في الصخر الجامد
والحجر الصلب يقول ( لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خشعاً متصدعاً من
خشية الله وتلك الأمثال نصرها للناس لعلمهم يتفكرون ) (71) وهي صورة تمثل
الحقيقة المائدة الكاتبة هذا القرآن فإن فيه روعة وثقلأ وأثراً مزلاً لا يثبت له شيء
بتلقاه بحقته فإن اللحظات التي يكون فيها الكيان الإنساني متفتحاً لتلقي شيء
من حقيقة القرآن ينتز فيها اهتزازاً ويرتجف ارتجالاً ويقع فيه من التغيرات
والتحولات ما يمثله في عالم المادة فعل المغطيس والكهرباء بالأجسام أو أشد.
والله خلق الجبال ومنزل القرآن يقول: ( لو أنزلنا هذا القرآن على جبل...
إلخ ) (72) والذين أحصوا شيئاً من حس القرآن في كيانهم يتدوفون هذه الحقيقة
تذوقاً لا يعترفعه إلا هذا النص القرآني المشع الموحي ( وتلك الأمثال نصرها
للناس لعلمهم يتفكرون ) وهي حقيقة جديرية فعلًا بأن توقف القلب والأفهام
والعقول وتبث فيها التأمل والفكر والخشوع.

نجد هذه الحقيقة في القلوب الصلادة التي وصفها القرآن بأنها أشد صلابة
من الحجارة والصخر، في قلوب المشروكان التي وصفها القرآن في قوله: ( قُلْ عَلَى
قلوبكم من بعدَ ذلك فهى كِلِّهِجَارَةً أو أَشْدَدْ قَوْسَهُا ذَلِكَ هُوَ الْحَجَارَةُ لَمَّا يَتَفَجَّرُهُمُ
اللهُ أَنْتُمْ مِنْهَا لَمْ يَجْعَلَ فِيهِ عَذَابًا أَلَّوَىَ مِنْهَا لَا يُجْعَلُهُ عَذَابًا لَّيْسَ عَذَابًا لِلَّهِ) (72).

(71) البقرة / 211
(72) الأعراف / 74

64
منهج القرآن في التأثير النفسي:
إن منهج القرآن في التأثير في النفس الإنسانية يكمن في أنه يعقد صلة دائمة بينها وبين الله في كل حظة وكل عمل وكل فكرة وكل شعور. إنه يريد أن يجعل من إشارة روح الإنسان منهج حياته ويعيدل لذلك عدة وسائل منها على سبيل المثال ما يأتي:

1 - دعوة الإنسان إلى التفكير في خلق الله:
فالقرآن يدعو الإنسان إلى أن يفتح بصريه على آيات الله في الكون ويستشعر من ورائها يد القدرة الخلاقة المبدعة في أساليب أخذ بأيدي مجتمع النفس ويؤثرها من إلقاءها وعاداتها. وللقرآن في هذا الجانب قدرة عجيبة في أفياض النفس من إلقاءها ليس مهمة مبسطة ولكن أساليب القرآن الساحرة ينقل الإنسان نقلًا من إلقاءه وعاداته إلى مركز المسح بكامل وقته وتدفقاته ومن ثم يعيش الأشياء من حوله كأنها تحدث لأول مرة فيعيش الإنسان مع الكون في لقاء دائم يتجدد في داخل نفسه في صفحة الكون لا ينفد ولا يزول (٧٥).
قال تعالى: "إن في خلق السماء والأرض واحترث الفجر واليبت وذكرت أيت" نبكي في البحر ما ينفع الناس وما أرسل الله من السماء ومن به ي آخياً له الأرض بعد موتها ويبني فيها من كل دابة وتصرف الرحيق والسحاب المشرّع بين السماء والأرض لَآئِثَ وَلَقَوْرُ عِظَالُون" (الخ الآية) (٧٦)
وما أكثر ما ورد من آيات في القرآن لهذا الغرض. والقرآن في ذلك يربط بين القلب البشري وبين الله كما أنه يهديه من خلالها في داخل النفس وفي واقع الحياة.

2 - الموظفة:
ففي النفس استعداد فطري للتأثير بما يلقي إليها من الكلام والموضوعة المؤثرة تفتح طريقها إلى النفس مباشرة عن طريق الوجدان وتضيء هواً وتثير كواهله وإن انظر محمد قطب: منهج التربية الإسلامية ص ٥٢ - ٦٠ ط ثانية دار دمشق بتدبر (٧٤).
(٧٤) البقرة / ١٧٤
كانت لا تكفي وحدها في التأثير في النفس إذا لم تقترن بها القوة، وحين توجد القوة الصحيحة فإن الوصية تكون ذات أثر بالغ في النفس وتصبح دافعًا من أعظم الدوافع في تركتها ويمكن حصر أسلوب الوصية في القرآن في هذا بأن:

(أ) الارتجاب: ويعتقد به كل ما يشوق العباد في نيل رضا الله ورحمة وجزيل ثوابه في الآخرة وهذا هو نهج الرسل والأنبياء وإليه يشير قوله تعالى: (إن هذا القرآن يهدى للتي هي أقوم ويشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً كبيراً) (77) كما أن الوعد بالخير يشمل نعم الدنيا والآخرة من أجل ذلك كان وعد الله بالثواب على ما يقدم الإنسان من خير أو ينفسي لغيره من معروف ويأتي في صورتين: الأولى صورة الجزاء العاجل والثانية صورة الجزاء الآخرة يوم القيامة ويجمع الصورتين قوله تعالى: (للمؤمنين في هذه الدنيا حسنة ولدار الآخرة خير ولنعم دار المتقين) (78) والآيات في هذا الباب كثيرة.

(ب) الارتجاب: وهو يعني كل ما من شأنه جعل الإنسان على البعد عن المعاصي بالتحريف من غضب الله وعذابه في الآخرة كما في قوله تعالى: (أن الذين لا يؤمنون بالآخرة أعتدنا لهم عذابًا أليًا) (79) والترهيب والوعيد يشمل شقاء الإنسان في الدنيا والآخرة قال تعالى: (ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكأ ونحشره يوم القيامة أعظم) (76) والآيات التي تحذر من المعاصية في القرآن كثيرة وليس هناك أبلغ في التأثير بالوعظة من الاتصال بكتاب الله تلاوة وتأملًا وفهما ليفتح مناذ القلب إلى هذا الكتاب العظيم لتنساب أنواره إلى كيان المسلم فتقلل أدواءه وظلمته وتبث فيه الحياة الحقيقية قال تعالى: (هذا بيان للناس وهمد ووعظة للمتقين)(76).

(76) الإسراء / 9.
(77) النحل / 330.
(78) الإسراء / 10.
(79) طه / 124.
(80) آل عمران / 138.

66
3 - القصة القرآنية:
ذلك لما للقصة من سحر يتحرر النفوس وهذا أمر قديم قدم البشرية والقرآن يدرك فيها هذا الميل الفطري ويدرك ما لها من تأثير ساحر على القلوب فيستخدمها لتكون وسيلة من وسائل التربية والتقويم والتأثير وقد حورى القرآن كثيراً عن الأمثل السابقة فذكرناها ووصف حياههم وبين عقائدهم ووضع مواقفهم من رسل الله إليهم وبذلك حفظ لنا مادة قصصية مشتملة على الأحداث والأشخاص وال إحوار والمكونات. والقصة القرآنية تناسب طاقة البشر لأنها رواية عن أخبارهم وقد اختارها الله بدقة وقص منها على الخصوص ما هو هادف ومؤثر وجعلها وحياً بديلاً يظل البشر دايماً حيث تملك قوة الإقناع من خلال التأثير الإيجابي في النفس بتلاوة القرآن أو سمعه أو مدارسته(1) فهو القصة الحق كما قال تعالى: (إن هذا هو القصص الحق) (2) والقرآن حين يعرض قصص الأثنايين لم يقصد بها تاريخ الرسول مع قومه وإنها المقصود ما فيها من دروس وعبر. قال تعالى (لقد كان قصصهم عبرة لأولى الألباب) (3) فهو يأخذ من القصة ما يحقق أهدافه من التهذيب والوعظ ويتلألئ بها التأثير الذي يجعل وقعاً على النفس وقعاً استهلاكاً يستثمر منها العاطفة والوجدان فحينها يقص القصة إلى نابتها كما في سورة يوسف وفي معظم الأحيان يأخذ من القصة بعضها لأن فيه ما يحقق الهدف وقد يشير إلى القصة تلميحًا اعتباطاً على أن القصة معروفة مشهورة وفي القصص القرآني دراسات مستفيضة أبرزت ما فيه من دروس وعبر لنا تأثيرها على نفس الناس وعقولهم.
4 - القسم في القرآن:
يؤدي القسم دوره في التأثير النفسي والعاطفي بواسطة المقسم به والمقسم عليه وبه معاً لأن العقل العربي تعود أن يؤثر الخلف في إدراك أن الكلام المستحق للاهتمام وهو الذي يبدأ باليمين فإذا ما حلف إنسان على شيء ما لكان

(1) انظر سيد قطب التصوير الفني في القرآن ص ١٤٥ وما بعدها ط ٣ دار المعارف بمصر ١٩٧٠.
(2) آل عثمان / ٦٢.
(3) يوسف/ ١١١.
بذلك دالاً على أهمية الشيء واهتمامه به وقد ورد عن بعض الأعراب أنه ما نزل قوله تعالى (فربس السماء والأرض إنه حق مثل ما نكم تنطقون) (48) قال: من ذا الذي أغضب الجليل حتى أجاج إلى اليمين (49). ويأتي التأثير بالقسم القرآني لأنه يتحيز حالات يهم الناس بها وبرزها في صورة مثيرة ثم يقسم بها من ذلك قوله تعالى (والذاريات ذروا فالحاملات وقرأ فالجاريات يسرا فالغضبات أمراً) (50) ومثله قوله تعالى (والعاديات ضبحا فالموهيات قدحاً فلمغيت صبحاً) (51) وهكذا يقوم الاقسم القرآني بدوره في التأثير النفسي بها من خصائص وختصائه على الطرق المؤثره في النفس الإنسانية.

5 - المثل في القرآن:

يؤدث المثل دوره التأثيري لما اشتهر عليه من حق تصويرية وإبراز للمعقول في صورة الحسوس. والمثل القرآني يستمد من عناصر الطبيعة لتنظر قربة من الإنسان. إذا كان تعش معه وتؤثر فيه وحتى يؤدي المثل هذه المهمة يتخذ من الطبيعة ميداناً يقتنص منها صورة فمن نباتها ترى الحبة تبنى سبع سنابل وترى الشجرة الطبية والخفية، والزرع الذي أخرج شطاه ومن حيواناتها ترى الحمار والكلب ومن حشراتها ترى البعوضة والعنكبوت ومن طورها ترى الهدهد ومن أحجارها ترى الرماد الصلد والجبل. إلا أن ذلك لأن القرآن لا يقصد الاهتمام بالممثل به بقدر ما ي📝 اقترب الصورة في نفس الإنسان مع شدة ووضوحها وتأثرها. والمثل القرآني يكون حقيقة فلطقع على نفس الشيء كقوله تعالى (كذلك يضرب الله للناس أمثالهم) (52) وقد يأتي على صورة التشبيه كقوله تعالى: «مِنْ ذَٰلِكَ الَّذِينَ جَعَلُوا الْآخِرَةَ حَٰيَاً ۖ لَعَلَّهُمْ يُجَابُوا ثُمَّ يُؤْتُوهُمْ أَجْرًا يُنفِّقُونَ فِيهِ مَعَ الْأَقْوَامِ» (52)

85) (الذاريات / 23
86) (السويطي: الافتقار في علم القرآن جـ ص 133
87) (الذاريات / 1-4
88) (العاديات / 1-3
89) (انظر: د/ أحمد غلش: الدعوة الإسلامية ص 4 ط دار الكتاب المصري- اللبناني 1978
90) (محمد / 3
الذين كتبوا بإيات الله وَلله لا يَهْدِي الْقُوَّمَ الْأَظَالمَينَ ( الآية 5)

وضرب الآمال يستفاد منه التذكير والوعظ والحديث والنزوج والاعتقاد والتقوى
قال تعالى (ولتلك الآمال نصراً للناس وما عقلها إلا العلل) (31) وهكذا يقيم المثال بالتأثير النفسي والتمسك بالقيم الرفيعة على قدر الطاقة البشرية فيتنزل المعانى الصعبة ويجلبها في متناول العقل الإنساني في بيان معجز وترتيب دقيق.

6- التاريخ الإنساني:

هو سجل أحداث الأمم والمستودع الذي تؤخذ منه العبر والدروس بالنظر في أحداث الماضي وكيف تعمل سنن الله في المجتمعات وفق ضوابط ثابتة لا تحابي أمة ولا تتجاوز شعوباً والتاريخ البشري حافل بالأحقائه مختلفة من الصراع على مستوى الأفراد والجماعات وقد أوجد الله الصراع في حياة البشر وجعله سنة من سنته التي تجري بها الحياة البشرية لغاية معينة وقد لفت القرآن الأنظار إلى كثير من أخبار الأمم الماضية ليحقق من وراء ذلك ذكرى وعظت وعبرة فدعا بالنوجه إلى السير والنظر فإن قوته تعالى (قد خلدت من قبلكم سنين فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين) (32) وبالسير والنظر تحدث العظة والعبرة بيا كان من عاقبة المكذبين المشركين مما يتعكس على النفس بالتأثير والانقياد لأوامر الله والعمل بمنهجه وهذا هو المقصود الرسمي من السير في الأرض والنظر في مواطن الأمم تقديضاً لقوله تعالى (فأفضص القصص لعلهم يتفكرون) (33) وفي تاريخ الأنباء في القرآن سجل حافل لكل من يريد أن يستقيم على الحق لما فيه من تربية النفس وعلاج الإنسانية.

7- الأحداث الهامة:

لقد استعان القرآن بالأحداث الهامة التي كانت مر بالمسلمين لتعليمهم بعض العبر المفيدة لهم في حياتهم والطورة لوحداتهم حتى يكون هذا الحدث درساً

(90) الجمعة
(91) العنكبوت
(92) آل عمران
(93) الأعراف
(43) 43
(137) 137
(176) 176
عملياً تزقوا به نفوسهم ومن أمثلة ذلك ما حدث في غزوة حين أن عجب المسلمين بكرههم فأخرجهم رحم أن الكرة لا تؤدى بالضرورة إلى النصر وإنما ينصر الله من يشاء من عباده المؤمنين حتى ولو كانوا قلة 144) قال تعالى: "لقد نصرك الله في مواطن كثيرة ويم حني يحي إنجينك كن تذكر فلم تغفر عنتك وضاقت عليه أمك الأرض بما رحبت ثم وليتم مذريين 145) ثم أنزل الله سكينته على رسوله عليه السلام المؤمنين وأنزل جنوداً لتروها وغذاب الذين كفرنا وذاك جزاء الكافرين 146).

إلى الآتيين 147).

8 - القدوة:

إن القدوة الحسنة من أهم الأسس في التأثير النفسي وهذا ما فعله الرسول ﷺ حين طبق القرآن تطبيقاً عملياً في حياته الشخصية وفي علاقته مع الناس وقد وعد الله من لم يطابق عمله قوله فقال تعالى: "بأيها الذين آمنوا لم تقولون مالاً تفعلون 148) كما ذم القرآن بني إسرائيل لمخالفتهم فعلهم لقولهم قال تعالى: "أتمنى أن الناس يرون السكينة واتهنُّون 149) والدعاء إلى الحق هم الذين يجمعون إلى علومهم العمل بها يدعو إليه فتأثير الناس بسلوكهم وثبات أخلاقهم والرسول ﷺ أعظم قوة للمشرية كان مربعاً وهادياً للنفوس بسده الشخصي قبل أن يكون بقوله قال تعالى: "لقد كان لكثر في رسول الله سكينة لينم كأن يرجبوا إلا اليوم الآخر وذ كثيرًا 150) والاقتداء بالرسول ﷺ بات إلى يوم القيامة فهو للمعلمين كلهم في جميع الأزمان والأماكن آية يابت تهت أثر النجوس وتأخذ 151).

(94) نظر محمد شديد منهج القرآن في التربية ص 277 مؤسسة الرسالة بيرون 1976م.

(95) التوبة / 266.

(96) الصاف / 2.

(97) البقرة / 44.

(98) الأحزاب / 21.
بمجمع القلوب وهذه هي بعض الوسائل التي بها يؤدي القرآن مهمته في توجيه النفس إلى الخير.

التأثير بالقرآن باق ومستمر

مازال تأثير القرآن باق يعمل عليه في النفس لأن معجزته باقية ولفظه لم يتغير ومازال منذ نزول محفوظًا في السطور والصدور. وهذا نرى أن من يسمع القرآن الآن يدرك تلك المعاني التي كان يسمعها ويدركها السابقون يقول ( كوران دي بيرسونال ) في سحر القرآن وتأثيره : ( ليست حال محمد ﷺ في انفعالاته وتأثيراته بحالة ذى جهة ، بل كانت مثل التي قال النبي ﷺ في إسرائيل في وصفها ) لقد شعرت بأن قلبي انكسر بين أصبعي وارتخت متي العظام فصرت كالنشوان لما قام بي من الشعر عند سعى صوت الله وأقواله المقدسة )۱۱۱(. ولنستمع إلى رأي ك ل ك ت ر ي ج أ ست ن أ لأ دب العر ب ج ب جامع ت ك ميرج في كتابه القيم ( كيف تعرفت على القرآن ) عن سحر القرآن في النفس يقول : ( لدى تصفحي السريع للقرآن الكريم أدركت أنني أمام مضمار جديد في الأسلاك والجرس والهيمة ... إن أنف حرفت أنواع القرآن فأرى في كل مرة نكهة خاصه لا يمكن إلا أن تكون سياوية ثم تساءل هل كل من يقرأ هذا السفر الجميل يشعر بما أشعر به أمر ما؟ وتجه بسؤاله إلى عشرين من المستشرقين المعروفين في أوروبا وأمريكا فكان الجواب كالآتي : نحن نشعر بشيء غريب غير عادي وغير مادي نتجزب إليه بطريقة لاشعورية جذباً قويًا وفي النهاية يقول كل الذين أعرفهم في أوروبا وأمريكا اعتبروا بشعورهم وإحساسهم الأغلب نحو القرآن ولاسيا عندما يعطى القرآن كل ذرة من كيانه فإذ ذلك يرى الإنسان العجب العجاب ثم يقول لا أشك في إلهية القرآن وهميته وإعجازه وسيطرته على الألباب )۱۱۱(. هذا رجل أحس بي أحس به غيره من روعة القرآن وجمال نظمه وسحر لفظه فباً بال من فهم

۹۹ (21) عبد الحليم محمود : أوروبا والإسلام ص ۴۲.

۱۰۰ (30) نظر : ۵ / توفيغ الزواج : الحضارة الإسلامية ص ۲۵۲ ، ۲۶۲ نقلاً عن ك.ك نريج.

۱۰۱ (41) الين / ۱ - ۲.
المعنى وخلال الأحكام واتصل بالأنوار وانسجم مع الوعي وأوَّب مع التزيل،
إن القرآن مازال هو القرآن الذي سمعته الجن: ( فقالوا إذا سمعنا قرآناً عجبًا.
يهدي إلى الرشد فآمنا به ) (١١١).

ويقول الأستاذ محمد حنيف الباحث بالموسوعة الفقهية بالكرسي: إنه ذهب
إلى لندن لإلقاء محاضرة في مسجد بها فوضع الكلفين بتنظيمهم شريطًا من القرآن
في مكبر الصوت لجمع الناس وما أن قرى القرآن وسمع الناس حتى توافد على
المسجد جميع غفير جلسوا يستمعون القرآن كان على رؤسهم الطير ولكن بمجرد
أن أغلق مكبر الصوت استعداداً لبدء المحاضرة أخذ الناس ينصرون فعجبت
من ذلك وبعد الفراغ سألت إمام المسجد عن هذه الظاهرة فقال: ما تكاد نفتح
مكبر الصوت في أي وقت على القرآن الكريم حتى يتوافد الناس على المسجد
وجلسون خاضعين رغم أنهم لا يفقهون القرآن. ولكنه يأخذهم بسحره وروعة
لفظه وموضئاه، فإذا انتهت التلاوة قاموا كا جاءوا. هذه هي روعة الكتاب
العزيز وقدسية الآيات التي تنفذ إلى الأعماق وإن كان للسان غير اللسان ولكن
الخالق هو المتكلم والآيات آياته والخلق عباده والكون ملكه واللغات تدبيره
وأمره (٤٠١)، وصدق الله حيث يقول ( ومن آياته خلق السماوات والأرض واختلاف
الإنسان وألوانكم إن في ذلك آيات للعالمين ) (٣٤٠) وما يحدث اليوم حدث مثله
بالأمس فقد روى أن نصرانياً مر بقاريء فوقع ي끼 وقبله لم يكتن قال
الشجاعة والنظم، وحكى عن بعضهم أنه كان إذا أخذ المصحف بيده يغشي
عليه من هيبته (٢٢٠) وروى عن أبي عبيدة أن أعرابياً سمع رجلاً يقرأ ( فاصدع يا
تهمر... إلخ) (٣٠٦) فسجد وقال سجدت لفصاحته، وسمع آخر رجلاً من
المسلمين يقرأ ( فلما استأنسا منه خلصوا نجياً) (١٠٦) فقال أشهد أن مخلوقًا لا يقدر
على مثل هذا الكلام، وحكى الأصمعي أنه سمع جارية تتكلم بعبارة فصيحة

٧٢

(٢٠٦) انظر: الخضارة الإسلامية ص ٢٥٤ مرجع سابق.
(٢٠٧) الروم / ٢٢(٢٠٨) معرفة القرآن : ج ١ ص ٢٤٢ - ٢٤٤.
(٢٠٩) الحجر / ٩٤(٢٠١٠) يوسف / ٨٠.
إشارة بليغة وهي خمسية أو سداسية، وتقول: تغفر الله من ذنوب كلها فقالت:

لا مم تستغفرني ولم يحر عليك قلم؟ فقالت: 

أعتذر الله لذنبي له قلت إنسانًا بغير حله 

مثل غزال ناعم في دلها وانتصف البيل ولم أصله 

فقال لها قاتلك الله ما أفسح فقالت أو بعد هذا فصاحة بعد قوله تعالى:

"أو أحينًا إلى أم موسى أن أرضعه فإذا خفف عليه فأقبله في اليم وثارت وراها وتعرّب 

إذا رأدها إلا يد وجاكله من المرضييي " سبعة الآية (111) فجمع في آية واحدة 

وبين أمرين ونبيين وخبرين وبشرتين (110) والمبتعد للحركة العلمية في 

العصر الحاضر يبدو أنها قد استفادت من هذا الأثر النفسي للقرآن استفادة لحذ 

الله في علاج هؤلاء المريضات في حالة الكلمة ودحيقتها وسحر مضمونها. لذلك بدأت تظهر حديثاً تجاهتهم بين بعض علماء النفس تدري 

بأهمية التربية الدينية في متابعة الأمراض النفسية وعلاجها وترى أن في الإيمان بالله 

والانتصال بالقرآن قوة خارقة تمتد الإنسان المندي بطاقة روحية تعيينه على تحمل 

مظاعق الحياة وتجننه القلق الذي يطرد فساهم من الناس. فالإيمان النابع من 

الاتصال بكلام الله روحية له تأثير عظيم في نفس الإنسان يزيد من ثقته بنفسه 

وقدرته على الصبر وتحمل المشاق.

الصحة النفسية في رحاب الإيمان:

إن الإنسان المعاصر في أمس الحاجة إلى يقين ديني بعيد إليه سعادته المفقودة 

وأمانه المسلم بحالتنا الضائعة. ومادام القرآن الكريم يمنحنا هذا القدر الكبير 

من هذه الحقائق التي أخذت تكشف قريناً بعد قرن فيما إذا لا تتورك على ضوء 

هذه المعادلة إذن الإيمان المعاصر من وراثته بفقدان اليقين، والعلم الحديث 

لم يعد يرفض الحقيقة الدينية أو يشك فيها كما هو الحال في العصور الماضية 

(107) القصص / 7. 

(108) الصفيت عيان: الشفا : ص 127 وما بعدها، إظهار الحق ص 341 مرجع سابق. 

73
ولكنه يعود اليوم ليعتنق مع الدين ويتوفّف لديه(119).

وهذه الضرورة إلى الدين والاتصال الروحي بأنّه وإتباع منهجه الذي ذكره في كتابه تتبَّع من احتياج الإنسان إلى ركن شديد يأوي إليه وإلى سند متين يعتمد عليه إذا ألمته به البدناء وحلت بساحته الكوارث هناتوُنَّى العقيدة الدينية فتسنده القوة عند الضف والصبر في البساء والضراء وحين البأس قال تعالى : ( قد جاءتكم موعظة من ربك وشفاء لما في الصدور ورحة للمؤمنين) (111) .

وقال أيضاً : ( فَقَدْ هُوَ الْمَلِكُ الْأَكْبَرُ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَالِيمُ وَأَلْدِينَا لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ عَاذَاتِهِمْ وَقَرْرُوهُ عَلَيْهِمْ عَيْنَ مَكَانٍ مَّيْضٍ بَعْدَ ذَلِكَ) (111).

إن الاعتقاد في الله والاتصال بكتابه يحب الإنسان الصحة النفسية والقوة الروحية فتشعر في قلبه البهجة وينظر إلى الحياة بمنظور مشرق ويبين عليه ما يكابد في حياته الفانية ويجد من الأطمثان والسكنة مالا يغني عنه علم ولامال ولا ولد ولا جاه قال تعالى : ( الذين آمنوا وتطمّن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمن القلوب) (111) . أما الذي يعيش في دنياه بغير عقيدة دينية ولا يؤمن بإله يرجع إليه في أموره كلها فإنه يعيش مضطرب النفس متحجر الفكر ممزق الكيان وهذا نرى الذين يعيشون بغير عقيدة راسخة يتعرضون أكثر من غيرهم للفقر النفسي والتوتر العمسي والاضطربات الذهنية وهم ينهارون بسرعة إذا صدمتهم نكبات الحياة فإما انتحروا انتحاراً سريعاً وإما عاشروا منفوساً أمواتاً كالحيوان ولقد اعترف الملحدون أنفسهم بأنثر الإنسان في الأزمات كما أثبت الاستقراء والمشاهدة إن أشاد الناس جوعاً وأسرعهم اضطراراً أمام شدائد الحياة هم الملحدون وضعاف الإنسان وقد وصف القرآن هذا الصنف من الناس فقال ( ولأذننا الإنسان من رحمة ثم نزعناها منه إنه ليس كصفر) (111) وقال ( وإن مصه الشر فيوس

(119) د / عاد الدين خليل : موقف القرآن من العلم ص 31 ط مؤسسة الرسالة.
(120) 119 يونس / 57.
(121) فصلت / 44.
(122) الرعد / 28.
(123) هرد / 9.
فتوح) (114) وقال (وإذا مسه الشر كان يؤسا) (116) ذلك لأنهم لا يؤمنون بقدر
فبراض به ولا بالله فيطمئنوا إلى حكمه في خلقه ولهذا أكثر الانتصار في البيئات
التي ضعف فيها أو فقدته فإن لم يكن الانتصار فهو الألم القاتل والجزء الملال وهذا
ما قرره علماء النفس وأطباء العلاج النفسي في العصر الحديث وهو ما سجله
المفكرون والنقاد في العالم كله (117) يقول المؤرخ الفيلسوف آرنولد تونبيان : (إن
افتقار المرء للذين يدفعه إلى حالة من اليأس الروحي تضطره إلى التغيير العزة
الدينية على موائد لا تملك منه شيئاً) (118) ويقول الدكتور (بريل) : (إن المرء
المدني حقاً لا يعاني قط مرضناً نفسياً) ويقول الدكتور كارل بانج في كتابه
( الإنسان العصري يبحث عن نفسه).
إن كل المرضى الذين استشوارو في خلال الثلاثين سنة الماضية من كل أنحاء
العالم كان سبب مرضهم هو نقص إيبانيهم ولم يبالوا الشفاء إلا بعد أن استعادوا
إيبانيهم (119) وقد أدرك أطباء النفس أن الإيبان القوي والاستماس بالذين
كفيلاف يمجر القلق والتوتر العصبي وأن يشفى من هذه الأمراض وقد أفاد
الدكتور (هنري لنك) في كتابه ( العودة إلى الإيبان) في بيان ذلك والدليل عليه
بما نسب وجربي من وقائع وفيرة خلال عمله في العلاج النفسي (110).
ويقول د. (بول أرنست أدولف) (120) لقد أيقنت أن العلاج الحقيقي
لابد أن يشمل الروح والجسم معاً في وقت واحد وأدرك أن من واجبي أن أطبق
معلوماتي الطبية والجراحية إلى جانب إيباني بالله.
وقد وجدت بعد تدبر عميق أن معلوماتي الطبية وعقيدتي في الله هما الأساسي
الذي ينبغي أن تقوم عليه الفلسفة الطبية الحديثة وهي الطريقة الوحيدة التي

(114) فصلت / 49.
(115) الإسراء / 83.
(116) د. / يوسف القرضاوي الإيبان والحياة ص 162.
(117) ارنولد تونبيان مختصر دراسة التاريخ ج 3 ص 176 نقل عن الإيبان والحياة.
(118) انظر الإسلام يحكي ص 284 مرجع سابق.
(119) انظر الإيبان والحياة ص 300 نقل عن هنري لنك العودة إلى الإيبان ص 32 - 28.
(120) استاذ مساعد التشريح بجامعة سانت جونس وعضو جمعية الجراحين الأمريكيين.
أقدم بخصوص العلاج الكامل الذي يحتاجون إليه ) 111(.

ولذا يؤكد مدى حاجة الإنسان إلى الدين والعمل بمنهج الله الذي ذكره في كتابه ليكون دواء لمعالجة أمراضه سواء كأنها نفسية كالألم والقلق والخيبة وغيرها أو كانت جسدية. أي كان نوع المرض وأن التدخل وربط القلوب بالأخلاق والاتصال بكلام الله والإرادة للإنسان في كل الأحوال حتى يعيش مستريح النفس.

هادي البال وقد تصل بأكبر وسائل المقاومة لعواصم اليأس والقئ وفقاً

ومدنا الدراسات الحديثة بأدلة ثابتة عن نجاح هذا الأثر النفسي التابع من الإيمان بالله والاتصال بكتابه في شفاء النفس من أمراضها وتحقيق الشعور بالأمن والطمأنينة والوقاية من الإحساس بالقلق والصراع النفسي.

يقول د. محمد عثمان نجاني(112): إن العلاج يتدخل عادة بعد حدوث الإصابة بالمرض النفسي أما إذا بث الإنسان بالله في نفس الإنسان منذ صغره فإنه يكسبه مناعة من الإصابة بالأمراض النفسية.

ويرتبط بهذا الإعجاز النفسي ما يتحقق للمؤمن من سكون النفس وأمنها وطمأنينته كما ورد في القرآن الكريم(113). وهذا يمثل لنا أن نذكر أن القرآن الكريم قد استوعب كل ما يتعلق بالإنسان وتكوينه ونظر إلى جوهته الكامن في أعراضه وخطابه بكل الوسائل النفسية وغيرها ليصل إلى قلبه وعقله وروحه.

وذلك يكون القرآن قد استخدم كل مقومات علم النفس الإنساني منذ أكثر من أربعة عشر قرناً من الزمان قبل أن يحدد مفهوم هذا العلم بمصطلحاته في العصر الحديث. قال تعالى : ( ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما تسوّب به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد)(114).

وكان الهدف الأساسي من ذلك أن يملك هذا القرآن زمام النفس الإنسانية.

---

(111) انظر نخبة من العلاج اليمنيين: الله ينجلي في عصر العلم ص 138، 139 نسخة د / لمريد سالم: عبد المجيد مراجعة د / الفندي ط 1 مؤسسة الخليل 1968.
(112) القرآن وعلم النفس ص 242.
(113) الأعلام / 17، الرعد / 28، التغابن / 11.
(114) ق / 10.
 فإذا تمكنها وسيطر عليها بث فيها كل البذور الصالحة التي يقصد إلى غرسها في قراءة هذه النفس وبرد الناس إلى خالقهم. وهذا الرد إلى الحال. هو محرر هذا الوجه النفسي للإعجاز وهو محرر العقيدة الإسلامية وأكبر دعائم منهجها التربوي. ولذلك كان آية من آيات الإعجاز القرواني.

ووهذا الوجه هو معجزة كل زمن ومكان، معجزة تسن الناس جميعهم عالمهم واجهلهم عربهم وغير عربهم...

وبعد فهذا هو الأثر النفسي للقرآن الكريم وهو من وجه إعجازه التي ذكرتها على سبيل التمثال لا الحصر حيث لا يمكن الإحاطة بها. وسيظل القرآن معجزة خالدة شالقة ينهل العلماء من فضله ويكشفون ما فيه من إعجاز إلى قيام الساعة، لا تنقضي عجابه، ولا تنفقت غرائبه، ولا يخلق على كثرة الرد، تشعر منه القلوب وتسكن إليه النفوس. ومن يعايشه ويفهمه لا بد أن يعلم تمام العلم أن الدواء للبشرية من علملها، والشفاء لها من أسباقها بأحكامه ومنهجه وآياته وأسراره، كما أنه لا بد وأن يشعر أن ديناً كتابه ودستوره هذه الجاذبية في تعاليمه وأياته وأحكامه لا ينحى ولا يزول ذلك لأن الحب دليل البقاء ولأن القوة الحقيقية لأي منهج تعتمد على فتح مغاليق النفس واستقراءها ويبعثها وشفائها مصداقاً لقوله تعالى: "إِنَّ الْخَالِقَ رَبِّ الْعَالَمِينَ، إِنَّ الْخَالِقَ رَبِّ الْعَالَمِينَ" (121).

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.
أهم نتائج البحث

1 - تناول التشريع القرآني جوانب الحياة كلها وتواءم مع القناعة الإنسانية في شمول ، وكفاءة وتوازن وتغير تعارض وانضاج أو تناقض مما أدى إلى اعتراض المنصفين من رجال القانون حتى من غير المسلمين بعظمة هذه التشريعات وأوصوا بضرورة الاستفادة منها.

2 - ثبت بالدليل القاطع أنه لا تعارض بين قطعي الدلالة من القرآن وحقائق العلم ، لأن القرآن كلام الله المضمون والكون صنع الله المنظور وهما لا يتناقضان بل يصدق أحدهما الآخر.

3 - ومن وجه الإعجاز القرآني إخباره بالغياب الماضي والمستقبل وهذا لا يكون إلا لعالم الغيب والشهادة.

4 - إن التأثير النفسى بالقرآن يتناول سائر المخلوقات كما أنه لا يعت مستقلًا بذاته عن وجه الإعجاز الأخرى . لأن الوظيفة كلها تذوقية تحرك المشاعر والوجدان وتؤثر في الأسباع.

5 - للقرآن جاذبيته التي تستجيب لها العاطفة النيرة وينشد إليها القلب الصادق ويندوق حلاوتها الوجدان السليم وهذا ليس في الإنسان وحده بل إن الإنسان والجن في هذا سواء.

6 - يعتبر القرآن ثورة على مفاهيم الجاهلية ، وحين دخل العرب في الإسلام غير كل ما كان ينفسهم من مفاهيمها فزكت أخلاقيهم وأحدث فيهم أعظم ثورة روحية واجتماعية وعرفها التاريخ.

7 - لا يقف التأثر بالقرآن عند حد الأحياء فقط ولكن يعدى إلى الجبال لما فيه من روعة وأثر مزمن لا يثبت له شيء يناله ، وهذا أدعى لأن تلقاء الأنس فيبعث فيها التأمل والفكر والخشوع.

8 - استخدم القرآن الكريم الكثير من الوسائط المتنوعة لتحقيق منهجه في التأثير النفسي بما كان له أعظم الأثر في تربية النفوس وتركيتها.
9 - إن التأثر بالقرآن باق ومستمر إلى قيام الساعة لما له من روعة وقدسية تنفذ إلى الأعاق حتى مع غير الناطقين بالعربية وهذا من آيات الله في خلقه.

10 - إن الأثر النفسي النابع من الإيمان بالله والثقة به والتمثيل في شفاء النفس من أمراضها وتحقيق الشعور بالأمان والطمأنينة، والوقاية من الإحساس بالقلق والصراع النفسي قال به القرآن منذ أكثر من ألف وأربعين عام قبل أن يقول به علم النفس الحديث. وهذا من دلائل الإعجاز في القرآن الكريم.
أهم مراجع البحث

1 - القرآن الكريم.
2 - ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ط. دار صادر، بروت، سنة 1965م.
3 - ابن حجر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ط. الخليلي القاهره، سنة 1959م.
4 - ابن سعد: الطبقات الكبرى، ط بروت، سنة 1958م.
5 - ابن عطية المحرر: الجزء في تفسير الكتاب العزيز، ط الأولي الدوحة، سنة 1977/1398هـ.
6 - ابن كثير: البداية والنهاية في التاريخ، ط مطبعة السعاده، مصر:
7 - ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ط أولى الدار المصرية اللبنانية، سنة 1991/1411هـ.
8 - ابن كثير: السيرة النبوية تحقيق مصطفى عبد الواحد، د. دار الرائد العربي بروت، سنة 1976/1397هـ.
9 - ابن هشام: السيرة النبوية تحقيق مصطفى السقا، ط. أخرتين، ط الخليلي، سنة 1355هـ.
10 - د. أحمد العمري: مفهوم الإعجاز القرآني، ط. نشر دار المعارف، بدون.
14 - الخاطبي: بيان إعجاز القرآن، ضمن ثلاث رسالة في إعجاز القرآن، ط.

16 - الرازي: مختار الصحاح. ط عيسى الخليلي بمصر بدون.

17 - الرافعي: إعجاز القرآن دار الكتب العربي. ط بيروت سنة 1346هـ.

18 - الزركشي: البرهان في علوم القرآن. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ط 1 الخليلي 1376هـ / 1957م.

19 - السيوطي: الانتقان في علوم القرآن. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم نشر دار التراث بالقاهرة.


23 - د / عبد الخليل محمود: أوروبا والإسلام منشورات المكتبة المصرية ط بيروت 1948م.

24 - د / عباس الدين خليل: موقف القرآن من القرآن من العلم ط مؤسسة الرسالة بدون.


26 - الغزالي (حجة الإسلام): الرسالة الدينية - من العقود والآليات المحمودية التجارية.

27 - القرطبي: الجامع لأحكام القرآن ط د مصري 1940م، ط دار الشعب.


81
27 - محمد مسولي الشعراوي: معجزة القرآن. الكتب الثاني نشر مكتبة التراث الإسلامي بدون.
29 - وحيد الدين خان الإسلام يتحدى عبد الصبور شاهين ط 7 دار البحوث العلمية 1973 م.
30 - د/ يوسف القرضاوي: الإيمان والحياة ط 7 نشر مكتبة وهبة 1980 م.